أشهر الكبائر

ملخص المحاضرة الثانية

علاء حامد
Alaa Hamed

حياتك غالية لا تنتحر

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم،

أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في المحاضرة الثانية من الدورة الجديدة "سلسلة أشهر الكبائر"، سنحاول بإذن الله أن نتكلم في أشهر الكبائر مع أسبابها وخطورتها وعلاجها وكيفية التوبة منها بحيث يكون الأمر متكامل، كانت النية في هذه المحاضرة أن نتحدث عن القتل بصفة عامة ولكن سنتحدث عن قتل النفس المعروف بالانتحار على اعتبار أنها المشكلة الأخطر لأنها شائعة الآن بشكل كبير وأصبح لها مبررات ومتعاطفين، ويدخل تحتها ناس صالحين من الممكن أن يتعرضوا لضغوط نفسية أو اتهامات بالباطل أو فقر أو ضيق، فيظن أنه فعل ما بوسعه ويعتبر أن الانتحار هو الحل، إذًا أنه أمر خطير وشائع، من الممكن أن يكون نسبته ليست بكبيرة في الدول الإسلامية إذا تم مقارنته بالدول الأخرى ولكن وصوله للمسلمين هذا شيء غريب وخطير.

إذا علمت أن معدل الانتحار في العالم الآن يقترب من مليون نفس في العام، فهذا معدل الذي مات بالفعل ومحاولات الانتحار أضعاف أضعاف هذا الرقم، والذي يفكر في الانتحار أضعاف أضعاف أضعاف هذا الرقم.

بالفعل معدل الانتحار في الدول الغربية أكبر بكثير لأن سنرى في هذه المحاضرة أن الإيمان هو من أقوى الأشياء التي تحمي من الانتحار والمعرفة الدينية الصحيحة هي من أقوى الوقاية من الانتحار لذلك يقل الانتحار جدًا فيمن كان دينه صحيح ويقل قليلًا فيمن كان له دين وإن كان دين باطل ولكن ما زال لديه بعض المفاهيم الأخروية فالنسبة تقل قليلًا والنسبة تنتشر جدًا في الفئة التي تلحد وغيرها.

لذلك قال الله تعالى:- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣]، فقتل النفس تعبير عن اليأس من

رحمة الله تعالى، لذلك ربط الله سبحانه وتعالى ذلك بالرحمة في سورة النساء:-

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَأكُلوا أَموالَكُم بَينَكُم بِالباطِلِ إِلّا أَن تَكونَ تِجارَةً عَن تَراضٍ مِنكُم وَلا تَقتُلوا أَنفُسَكُم إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُم رَحيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

فأنت لن تكون أرحم بنفسك من الله، فالذي ينتحر يعتقد أنه يرحم نفسه، فالله عز وجل يقول لك أنا أرحم بك منك وسأقبضك في الوقت المناسب فلا تبادرني بنفسك، والله أرحم بالعبد من الأم بولدها.

من المشاكل التي تواجه المنتحر

المنتحر غالبًا يكون يواجه مشكلة كبيرة في حياته أو على الأقل في نظره، فمنها ما هي مصائب عادية تصيب أي شخص ومنها ما هو ألم نفسي حقيقي

من المصائب العادية:-

الفشل الدراسي من الممكن أن يكون هذا الأمر كبير لشخص ما أو الطلاق.أو الموت كأن يموت له أحد من أهله، فلديه هشاشة نفسية تجعل هذا الأمر يؤثر به ويزين له الشيطان هذا الأمر ويوهم نفسه أنه لن يستطيع أن يتحمل هذا الألم المؤقت.

أو أزمة عاطفية أو اجتماعية أو إيذاء أو سجن أو سرقة.

فعندها يشعر الإنسان بحزن شديد وهذا شيء مقبول ولكن الغير مقبول أن يُصنف هذا الأمر بإنه اكتئاب وهذا الأمر أصبح منتشر جدًا، فهذه الأشياء حزن عادي ولا يُصنف بإنه اكتئاب، ويتم التعامل معه بالصبر والاحتساب والصحبة الصالحة وحضور مجالس العلم وتهئية الجو وتظبيط الطعام والشراب وما إلي ذلك، قد يستغرق بعض الوقت ولكن مع مرور الوقت يصبح الأمر طبيعي،

وهذا الشخص ليس له أي عذر إطلاقًا، وإذا تم وصفه بالاكتئاب قد يذهب ويأخذ أدوية خطأ ويصبح الأمر أسوأ وقد يعيش في هذه الحالة.

إذا كان الاكتئاب مع أنه مرض ليس له أي تبرير أو تعاطف لصاحبه بأن يفعل أي شيء خطأ، فما بالك بالحزين حزن عادي فهذا أشد أنه لا يوجد تبرير له أو تعاطف معه.

ويوجد حالات من الانتحار ناتجة عن ألم نفسي حقيقي، ومن الخطر الشديد أن يتم وصفها بالأمراض النفسية لأن هذا يبرر للمنتحر سلوكه، ويوجد فرق بين المصائب العادية التي تصيب الناس كلها مهما كانت حتى لو مات لك جميع أولادك فهذا ليس مبرر أن توصف نفسك بالاكتئاب أو المرض النفسي، فالحزن الشديد لا يلزم أن صاحبه مكتئب، قد يكون حزين حزن شديد ولكن لم نوصل لمرحلة الاكتئاب، فالاكتئاب مرض نفسي وله آثار جسدية سواء متعلقة بالمواد الذي يفرزها المخ مثل الدوبامين وغيره فصاحبه يكون مضطرب حقيقةً ليس مضطرب لأنه حزين فقط بل لأن حدث تغيرات حقيقية في جسده فأصبح غير مؤهل أن يأخذ قرار لنفسه، ويشعر بأشياء غير صحيحة مثل أن يشعر أن جميع الناس تكرهه أو أن شخص ما سيقتله أو يشعر أنه يريد أن يقتل نفسه، فمثل هذا الشخص يتم الذهاب به إلى الطبيب وقد يحتاج إلى الحجز.

ولكن يوجد شيء من المعاتبة لهذا الشخص لأنه يعلم أنه مريض فيجب أن يذهب إلى الطبيب.

مرض الاكتئاب قد يصيب المؤمن كما يصيب الكافر لأنه مرض يحدث في جسده مثل باقي الأمراض ولكن نسبته ضعيفة لو هو فاهم دينه بشكل صحيح، فيتعامل المؤمن بشكل طبيعي مع هذا المرض ولكن بلا شك أن المعاني الإيمانية التي سيتم ذكرها بإذن الله تقاوم حدوث الاكتئاب لأن من أسباب الاكتئاب الحزن الشديد فيكون المخ مستعد لحدوث أي اضطراب به، وقد يكون الشخص نفسه سبب في وصوله لهذا المرض بأن يترك نفسه بدون أن يذهب إلى الطبيب أو يكون وراثة وما إلى ذلك.

فعندما يعلم الشخص بهذا المرض لا بد أن يتعامل معه بشكل حازم وأن يعرض نفسه على طبيب ويعلم أهله بالمرض، والطبيب في هذه الحالة لا بد أن لا يكتم هذا المرض للشخص بل يعلم أهله.

ومع ذلك ما زال المكتئب له عقل وكونه يعقل فإنه مُكلف وكونه مُكلف فإنه محاسب على أفعاله ولا يجب التبرير له.

عندما نريد معالجة كل هذا سواء كان المكتئب وكما قلنا به شق علاجي سيخوضه مع الطبيب لا بد، أو دون المكتئب له شق علاجي آخر يسمونه العلاج المعرفي وهذا للمكتئب أيضًا، هذه المعارف تتكون في ذهن الشخص عندما يعتقدها تتحل لديه أغلب المشكلة، لذلك نقول أن العلاج المعرفي أقوى علاج فيه هو الدين الصحيح الذي يمدك بالأفكار والتصورات والعقائد وما إلى ذلك، فهذا يجعل الشخص منضبط جدًا ومن الصعب الوصول إلى مثل هذه الأشياء.

مثال:- شخص حصل لديه ظلم ولم يأخذ حقه ثم قال أين ربنا إذًا؟ فهذا الشخص لديه مشكلة معرفية.

مفاهيم معرفية لمعالجة الانتحار

سنبدأ بإذن الله بالخطاب إلى كيفية العلاج ثم الترهيب في نهاية المحاضرة، ولا شك أن الترهيب هو جزء من العلاج ولكن أحيانًا يكون هذا الشخص لا يحتاج إلى ضغط زيادة، فنبدأ بإذن الله بحل المشكلة معرفيًا ثم نقول لهذا الشخص الحقيقة وهي عندما تنتحر إلى أين ستذهب؟

من هذه المفاهيم:-

أن هذه الدنيا الله خلقنا فيها ليبتلينا أو خلقنا ابتداءً لكي نعبده ولا نشرك به شيئًا وقدر أن الاختبار الذي يضعنا فيه ربنا سبحانه وتعالى هو اختبار سيشمل على أمور بها خير وأمور بها شر.

قال الله تعالى:- ﴿الَّذي خَلَقَ المَوتَ وَالحَياةَ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزيزُ الغَفورُ﴾ [الملك: ٢].

فأنت ترى في كل ابتلاء أن الدنيا طبيعية سواء هذا الابتلاء بالخير أم بالشر أو كان بمرض أو بموت وأننا في هذه الحياة لا نظل على قد الحياة بل سنموت، وأننا عايشين في هذه الحياة وأن في النهاية يوجد جنة ونار، أنا مريض أو سليم أو فقير أو غني،

الموضوع لا يفرق معك لأنك تعلم أن كل هذا تحت فكرة واحدة فقط وهي أن الله عز وجل خلق هذا المخلوق لكي يبتليه، فإذا نجح في الابتلاء فاز مع الله سبحانه وتعالى، فالدنيا ليست دار مكافأة وليست جنة، والذي لديه تصور غير ذلك هو الذي يعاني فيعتقد أن الدنيا هي دار مكافأة ويعتقد أن كل شيء سينتهي في الدنيا والذي يظلمه لا بد أن يرى حقه منه الآن وهذا غير صحيح أو يعتقد أن في هذه الدنيا الله عز وجل يفعل لنا ما نريد، فتجد ناس يقولون أن الله عز وجل خلق الإنسان لأنه يحبه وخلقنا ليفعل لنا ما نريد، فالذي يعيش بهذا المفهوم سيتعب جدًا، فهل الله عز وجل يحب الإنسان لأنه إنسان؟ فالله عز وجل قال أنه لا يحب الكافرين ولا يحب الظالمين ولا يهدي القوم الظالمين، فالإنسان نفسه ليس له قيمة في نفسه.

قال الله عز وجل:-﴿قُل ما يَعبَأُ بِكُم رَبّي لَولا دُعاؤُكُم فَقَد كَذَّبتُم فَسَوفَ يَكونُ لِزامًا﴾ [الفرقان: ٧٧].

قال الله عز وجل:- ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قالوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَريَمَ قُل فَمَن يَملِكُ مِنَ اللَّهِ شَيئًا إِن أَرادَ أَن يُهلِكَ المَسيحَ ابنَ مَريَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرضِ جَميعًا وَلِلَّهِ مُلكُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما بَينَهُما يَخلُقُ ما يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

فنحن ليس لنا قيمة عند الله إلا بالعمل الصالح فقط.

والتصور الثاني أن الله عز وجل خلقنا ليفعل لنا ما نريد كأنه يقول أنه سبحانه وتعالى خلقنا لا لكي نعبده بل ليفعل لنا ما نريد، فهذا الإنسان يعيش موهوم وعندما يحدث له شيء عكس الذي يخطط له فيبدأ يزعل من ربنا مثل ما يقول بعض الناس، فمن الابتلاءات أن تتمنى شيء ولا يحدث.

والله عز وجل يقول في سورة النجم ﴿أَم لِلإِنسانِ ما تَمَنّى﴾ [النجم: ٢٤]،﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأولى﴾ [النجم: ٢٥].

لو جميع الناس نالوا ما تمنوا إذًا غدًا يصبح الجميع أطباء ومهندسين وأغنياء جدًا وتنتهي الحياة في شهر واحد، فالله عز وجل له حكمة ويقسم الأرزاق، فالبتالي عندما تفهم كل هذا أنت الآن متوقع أن مثلًا السرقة، القتل، الظلم،

الإيذاء، كل هذا جزء من الحياة وأن الله عز وجل خلق كل هذا ليبلوك، وليس الشأن في الابتلاء نفسه ولكن في رد فعلك تجاه الابتلاء، فإذا جاوبت صح فزت وحققت العبودية ودخلت الجنة، وإذا لم تجاوب صح خسرت.

مفهوم خاطىء لدى الشخص الذي يكون مُعرض للانتحار أنه يرى أن الحياة لا بد أن تكون عادلة، أي لا بد من استيفاء جميع الحقوق هنا في الدنيا وإلا يوجد مشكلة في عدل الإله، لا نقول الحياة ظالمة بل نقول أن العدل لا يُقاس بالدنيا فقط إنما يُقاس العدل بمجموع الدنيا والآخرة، فيوجد حقوق انتهت في الدنيا بالفعل ويوجد أشياء أخرى لم تنتهي، فأنت عندما تنظر إلى الدنيا ترى أنه يوجد نهايات مفتوحة مثل أطفال غزة فتقول أين أطفال غزة الذين ماتوا وأين حقي وميراثي...وما إلى ذلك، فتبدأ شخصية هذا الشخص تضطرب فيبدأ يشك في ربنا أو يفكر في الانتحار.

قال النبيﷺ:-[- لتؤدُّنَّ الحُقوقُ إلى أَهلِها يومَ القيامةِ ، حتَّى يُقتَصَّ للشَّاةِ الجَمَّاءِ ، مِنَ الشَّاةِ القَرناءِ بِنَطحِها].

قال الله عز وجل:- ﴿كُلُّ نَفسٍ ذائِقَةُ المَوتِ وَإِنَّما تُوَفَّونَ أُجورَكُم يَومَ القِيامَةِ فَمَن زُحزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فازَ وَمَا الحَياةُ الدُّنيا إِلّا مَتاعُ الغُرورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فالحديث واضح في الآية، فلو أنت عشت مظلوم طول حياتك ومت والظالم ظل يضحك، فهذا الأمر طبيعي وأن الله عز وجل اختار لي أن حقي لن يأتي كامل في الدنيا وسوف يُدخره لي يوم القيامة، مع إنك ترى ناس أخذوا حقوقهم في الدنيا، فهذا الأمر لا يمثل لك شيء.

الأصعب من ذلك أن الله عز وجل قال ذلك للنبيﷺ نفسه:- ﴿فَإِمّا نَذهَبَنَّ بِكَ فَإِنّا مِنهُم مُنتَقِمونَ﴾ [الزخرف: ٤١]،﴿أَو نُرِيَنَّكَ الَّذي وَعَدناهُم فَإِنّا عَلَيهِم مُقتَدِرونَ﴾ [الزخرف: ٤٢]،﴿فَاستَمسِك بِالَّذي أوحِيَ إِلَيكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

فيوجد هنا احتمالين، الاحتمال الأول أن النبيﷺ لن يرى أي شيء نهائي ويموت ويتم الانتقام من الكفار بعد موته ولن يرى هذا الانتقام والاحتمال الثاني أن يحدث لهم وعد الله وأن يرى النبيﷺ ذلك.

فالنبيﷺ حدث له ذلك، فعندما يتأجل لك حقك إلى يوم القيامة تجد أن هذه من الطبيعي وليس بغريب.

أن الابتلاء في مفهومنا الإسلامي ليس في أمور الشر فقط، فليس المبتلي هو الفقير والمظلوم فقط، فالمفهوم هنا أوسع حيث يشمل الخير والشر وأن كلمة ابتلاء تعني امتحان والامتحان ليس شرط أن يكون سؤال في المرض والفقر فقد يكون سؤال في الغنى أو القوة أو التمكين، فيرى هذا الشخص أنه هو المبتلي فقط لأنه يرى الابتلاء في الشر فقط.

قال الله عز وجل:-﴿وَقَطَّعناهُم فِي الأَرضِ أُمَمًا مِنهُمُ الصّالِحونَ وَمِنهُم دونَ ذلِكَ وَبَلَوناهُم بِالحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ لَعَلَّهُم يَرجِعونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

قال الله عز وجل:-﴿كُلُّ نَفسٍ ذائِقَةُ المَوتِ وَنَبلوكُم بِالشَّرِّ وَالخَيرِ فِتنَةً وَإِلَينا تُرجَعونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

إذًا الجميع في حالة الابتلاء، فالله عز وجل اختار لك هذا الابتلاء واختار لغيرك شيء آخر، فيجب أن ترى أن الجميع مبتلى.

فمن الناس يرى أن الغنى خير مطلق لذاته وكذلك الصحة، مع أن الله عز وجل قال أن هذا المفهوم خطأ:- ﴿فَأَمَّا الإِنسانُ إِذا مَا ابتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقولُ رَبّي أَكرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]،﴿وَأَمّا إِذا مَا ابتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيهِ رِزقَهُ فَيَقولُ رَبّي أَهانَنِ﴾ [الفجر: ١٦]، وقال الله عز وجل للغني كيف أنت مكرم ولا تفعل ما أمر الله به في قوله تعالى:- كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ (١٨) وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا (١٩) وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا (٢٠)، فكيف أنت مكرم ولا تفعل كل هذا، فالإكرام ليس في ذات العطاء أو المنع إنما فيما ترتب على العطاء والمنع، فإذا ترتب على العطاء ظلم وفسوق فهذا لم يكن إكرام بل كان استدراج في صورة إكرام بل هو إهانة.

إنما العز في الطاعة وإنما الإهانة في المعصية، كما قال الحسن البصري:- (هانوا على الله فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم).

الله قد يرزقك الفقر ولكن يرزقك الصبر والرضا والقناعة وتكون محافظ على صلاتك وكان من الممكن لو أعطاك الله كان ممكن تكون شخص سيء.

قد يسأل شخص لماذا الله أعطاني سؤال الفقر ولم يعطني سؤال الغنى، لماذا أنا دائمًا لم يأتي لي غير "الورقة" التي بها الفقر؟ لماذا ليس غيرها؟ نقول:- هذا الأمر لكي تفهمه وتحسمه لا بد أن يكون لديك علم الله، وهذا غير ممكن، ربنا يبتلي بعِلم، لماذا فلان هكذا ولماذا فلان هكذا؟ كل هذا بعلم، ربنا أعطى بعلم ومنع بعلم.

قال تعالى:-﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(الشورى: ٤٩-٥٠).

ترى الختام؟ عليم قدير، ممكن امرأة عقيم تعبت جدًا، وغير قادرة أن تستحمل الحياة، وكل مرة يُعيّروها إنها ليس لديها أولاد، وفعلت عمليات وكل الوسائل، وما زالت تقول: أنا غير قادرة أكمل، لماذا يا رب فعلت فيّ هكذا؟ طب ما كنت جعلتني أنا التي أولد! نقول لها: من قال إنك تختاري نوع الابتلاء؟ يمكن ربنا رحمك من سيناريو أسود، مثل قصة:- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾(الكهف: ٨٠)

بدل ما يأتي ويتعبك، ربنا لم يأتي به أصلًا، الله أعلم، ممكن تكوني غير مستعدة، ممكن يموت وتتقهري عليه، وممكن حتى التي خلفت غير عاجبها! تقول: أنا كنت مرتاحة قبل الأولاد، دلوقتي مش عارفة حتى أدخل الخلاء من صوتهم!.

الخلاصة:- استمتع بما قدّر الله لك، هذه ورقة امتحانك، وهذا سؤالك. استمتع به، مش بس تكون متضايق، وكمان تجاوب خطأ!

مثال:- لو أنت تعمل في شركة عملاقة وبتأخذ ٢٠ ألف دولار في الشهر، هتحب العمل؟ هتقول:- آه بحبه جدًا، طب أنت لم تُسأل ماذا تعمل، ممكن تكون بتنضف عربيات، أو بواب، أو مدير، لكن أنت سمعت الرقم فحببت العمل، هذا

الذي كنت أريدك أن تقع فيه، أنت لم تسأل عن طبيعة العمل أنت حبيت "العائد".

كذلك الحياة: أنت استمتاعك بالسؤال مرتبط بالنتيجة (الأجر)، وليس بالسؤال نفسه، المؤمن بيحتسب: لو جاوبت هذه الورقة هأخذ جنة عرضها السماوات والأرض، غير فارق معي السؤال نفسه، طب لو الشركة لغت المرتب؟ هتحب الشغل؟ هتقول: لا طبعًا، أنا كنت بحبه بسبب الفلوس، يبقى المشكلة ليست في العمل، المشكلة أنت محتسب الأجر أم لا؟

مثال:- يوجد امرأة من الصالحات أصيبت في إصبعها إصابة شديدة، فلم تصرخ، قالوا لها: لماذا لم تصرخي؟ قالت: حلاوة الأجر أنستني مرارة الألم.

من المفاهيم الخاطئة أن يسأل الشخص هذا السؤال وهو:- لماذا ربنا لم يبتلينا كلنا بالخير فقط؟ نقول: الحياة لن تكون مستقيمة هكذا، فجميع الناس ستكون هكذا جميعها أغنياء ولن يوجد أحد فقير أو أحد يقوم بخدمة أحد، فلا بد أن يوجد شيء من الشرور، وأيضًا ربنا يحب أن يُعبد بجميع أنواع العبادات، لو كله خير فقط، هنكون شاكرين فقط، طب أين الصبر؟ أين الدعاء؟ أين البكاء؟ أين التوكل؟ يوجد عبادات لا تظهر إلا مع الشدائد وستظل أيضًا مأجور.

قال النبي ﷺ:- [عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن].

وما زال لا يوجد شخص حياته كلها خير أو كلها شر، الغني بيتعب، والفقير بيتعب، كل واحد يرى غيره أحسن منه، ولو تخيلنا أن الحياة كلها خير يُصاب الإنسان بأمراض العافية ثم يطغى.

قال تعالى:-﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾(العلق: ٦-٧).

فالابتلاءات بترجع الإنسان لنقطة الصفر، تفكره من هو وتيقظه، حتى الأنبياء ابتُلوا بأنواع مختلفة، سيدنا سليمان كان ابتلاؤه بالملك، ورغم هكذا قال:-﴿هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ

فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(النمل: ٤٠)، وسيدنا أيوب ابتُلِي بمرض شديد جدًا وصبر، والاثنين ربنا قال عنهم: "نِعم العبد إنه أواب"، فتكون العبرة ليست في نوع الابتلاء، العبرة في رد فعلك.

قال تعالى:-﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(يونس: ١٤).

والابتلاء بالشر له فوائد:-

مثل يوم أُحد:- قوله تعالى﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾(آل عمران: ١٦٦-١٦٧).

الابتلاء الذي حدث في يوم الأحزاب:- ناس زادت إيمانًا، وناس انكشف نفاقها، مثل التطعيم بالظبط، بتأخذ حاجة مؤذية بسيطة لكي تجعل جسمك يتعلم يواجه المرض الحقيقي، كذلك الابتلاء بيجهزك ويقويك ويكشف الحقائق.

قال الله تعالى:- ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (الأحزاب: ١١)﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾(الأحزاب: ١٢)﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾(الأحزاب: ٢٢).

- الخلاصة:- الابتلاء هو "ورقة امتحان"، والمهم ليس السؤال المهم كيف تجاوب؟

عندما تركز في سورة العنكبوت تجد أنها تتحدث عن كل هذا، حتى البعض بيسميها سورة الابتلاء.

قال الله عز وجل:- [الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ](٢).

هذه أول قاعدة أن طبيعة الحياة جُبلت على الابتلاء ومهما كان حالك لا بد أن يحدث لك فتنة ونرى هل ستنجح أم لا.

قال الله عز وجل:- [وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ](٣).

هذه القاعدة تعرفك أنك لست وحدك التي تُبتلى، والغرض من الابتلاء هو ردة فعلك في النهاية.

قال الله عز وجل:-[أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَآ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ](٤).

هذه القاعدة تعلمك أن الظالم ليس به أمل وأن الله عز وجل يخاطب المظلوم لأن هذا الذي به رجى وأمل.

قال الله عز وجل:- [مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٥)].

وكأن هذه الرسالة فيها تخفيف عليك وتقول لك أن المسألة قربت، اصبر فقط لأن هذا الابتلاء له نهاية وسنقابل الله عز وجل وكل شخص سيأخذ حقه.

قال الله عز وجل:-[وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦)].

وكأن الفكرة هنا أنها لن تأتي بسهولة إنما لا بد أن تتعب، فبعض الناس يعتقد أنه قد يوجد ابتلاء أكبر من طاقته وهذا الذي حدث مع المنتحر

فهو يرى الابتلاء أكبر منه وهذه مشكلة في ذهنه، ونحن لدينا القاعدة تقول"لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها"، فالأمر في طاقتك ولكن المشكلة فيك أنت

أنت لا تريد أن تجاهد أو تتعب ولا تريد أن تحاول وتأخذ بوسائل أو تطلب المساعدة، ويوجد معنى آخر في هذه الآية:- أن بعض الناس يعتقد في موضوع الانتحار أنه هكذا يعبر عن اعتراضه لله أو بينتقم أو بيحتج بهذا الانتحار، فأنت لا تضر إلا نفسك، ففي النهاية هذا قدر الله عليك قدره بحكمة والذي يحدث معك هو الصحيح، أنت الذي تراه خطأ، وهذه مشكلة ويجب أن تعالجها، وأنت لا تملك إلا عبادة الله عز وجل وأن تفعل رد فعل صحيح.

ففي الحديث:-[يا عبادي ! إنَّكم لن تبلغوا ضُري فتَضُرُّوني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني].

فمثلًا تجد أشخاص يتركون الصلاة أو الحجاب عندما يحدث ابتلاء لهم، فلا يوجد أحد متضرر غيرك أنت، فهذا الفعل يعبر عن عدم رضاك وقمت بتزويد المشكلة على نفسك، فعندما أوقفت الحياة أوقفت الحل، لهذا ترى أن أمنية الكافر هي مزيد من الحياة.

وفي نهاية سورة العنكبوت تجد آية:-

قال الله عز وجل:-[وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٦٩)].

فأنت عندما تجتهد بالفعل، الله عز وجل سيساعدك.

لماذ الله عز وجل يغضب على هذا المنتحر؟ لأنه قطع مادة الأمل كلها، فعندما توجد الحياة يوجد الأمل.

ففي الحديث:- [لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدٌ منكمُ المَوتَ لضُرٍّ نَزَلَ به، فإن كان لا بُدَّ مُتَمَنِّيًا للمَوتِ فليَقُلْ: اللهُمَّ أحيِني ما كانَتِ الحَياةُ خَيرًا لي، وتَوفَّني إذا كانَتِ الوفاةُ خَيرًا لي].

فهذه أمنية أهل النار، يريدون أن يرجعوا للدنيا بكل مشاكلها، فلا يوجد أصعب من إنك تنهي الحياة لأنه ينتهي كل شيء بعدها، والظالم يقول في قوله تعالى:- ﴿حَتّى إذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قالَ رَبِّ ارجِعونِ﴾[المؤمنون: ٩٩]، ﴿لَعَلّي أَعمَلُ صالِحًا فيما تَرَكتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِن وَرائِهِم بَرزَخٌ إِلى يَومِ يُبعَثونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

فالكافر يريد أن يرجع الدنيا حتى لو هيموت كل أولاده، حتى لو هيرجع مشلول، فيريد أن يرجع للدنيا ويترك النار بأي طريقة حتى لو هيكون فقير مستضعف مظلوم، ففي هذه الدنيا لديه فرصة يصبر، لديه فرصة أن يقول لا إله إلَّا الله وأن يصلي ركعتين.

فالجنة يوجد بها فقراء وأغنياء وكذلك النار، ولكن الذي يختلف هو ردة فعل كل شخص على ابتلائه، فحياتك التي تريدها هي أمنية أهل النار ويريد أن يرجع

حتى لو هيكون أشد أهل الدنيا عذابًا، فالمنتحر يقضي على هذا الأمل، لذلك في الشريعة الإسلامية يقولون لا يجوز القتل الرحيم مثل ما يحدث في الدول الغربية كأن يوجد شخص مريض والطبيب يقول ريحوه من المرض بالموت.

فكل ما كان لديك وقت كان هذا أفضل لك، فالكافر يقول:- ﴿يَقولُ يا لَيتَني قَدَّمتُ لِحَياتي﴾ [الفجر: ٢٤].

الذي وهبك الحياة لم يأذن لك أن تتصرف فيها، وهذه شبهة لدى المنتحر ويقول هذه "حياتي أنا حر فيها"، فالإجابة لا أنت لست حر فيها، فهذه الحياة الله عز وجل الذي وهبك إياها والذي يملكها ويملك نفسك وكل شيء بك ولا يجوز أن تتصرف في هذه الأشياء إلا بإذنه.

قال الله عز وجل:- ﴿فَلَولا إِن كُنتُم غَيرَ مَدينينَ﴾ [الواقعة: ٨٦]،﴿تَرجِعونَها إِن كُنتُم صادِقينَ﴾ [الواقعة: ٨٧].

قال الله عز وجل:-﴿فَلَولا إِذا بَلَغَتِ الحُلقومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]،﴿وَأَنتُم حينَئِذٍ تَنظُرونَ﴾ [الواقعة: ٨٤].

فهل يوجد شخص ينظر إلى ملكه؟ لا، لذلك أم سُليم امرأة أبو طلحة الأنصاري تزوجته وربنا رزقهم بولد، فمات الولد وكان أبوه في رحلة ما ورجع، فأخبرت أم سُليم الخبر لأبو طلحة وقالت:- "يا أبا طلحة، أريت لو أن قومًا أعاروا قومًا عارية (أي سلف) ثم طلبوها منهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال:- لا، قالت:- فاحتسب ولدك."، فننظر كيف وصلت له الخبر؟ قالت له شيء مِلك أحد وخذها، فهل نقدر نقول شيء؟ قال لها:- لا، فكذلك الله عز وجل أخذ ملكه، فصبر أبو طلحة.

فروحك هي ملك الله عز وجل وليس لك حرية في إنهائها في أي وقت، وهو سبحانه وتعالى لم يأذن لك بذلك وهو أرحم بك من نفسك، لو يعلم أن الموت الآن هو أنسب لك كان موتك، ولكن ترك لك فرصة في الحياة وهو سبحانه وتعالى أرحم بك من أمك، فكيف تقول أنا أرى الرحمة أن أموت الآن؟؟

ففي الحديث:- [كان فيمن قبلَكم رجلٌ به جُرْحٌ فجزِعَ، فأخذ سِكِّينًا فحزَّ بها يدَهُ، فما رقَأَ الدمُ حتى مات، فقال اللهُ : بادَرَني عبدِي بنفْسِهِ، فحرَّمْتُ عليه الجنةَ].

فهذه مشكلة كبيرة، أنك غير مدرك نعمة هذه الحياة، لذلك قال الله تعالى:- ﴿وَالَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهِم وَلَنَجزِيَنَّهُم أَحسَنَ الَّذي كانوا يَعمَلونَ﴾ [العنكبوت: ٧]، كأنه يقول الله عز وجل لك أعطتك الحياة فاعمل بها لكي تنال هذا الأجر العظيم.

قال الله عز وجل في سورة العنكبوت:- [وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٠) وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ (١١)].

فهذه الآيات تقول أنه يوجد أناس بالفعل مؤمنين عندما يحدث لشخص منهم ابتلاء في الدنيا يقول أنا غير قادر وينتحر ويجعل الابتلاء الذي حدث له كعذاب الله في الآخرة، فهذا لا يقارن بهذا أبدًا، فيكون الابتلاء الذي انتحر بسببه بعد الانتحار جنة.

●كما قال النبيﷺ[الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر].

مرة كان يوجد شخص كافر في أحد بعض الخلافات في عز وقوة الدولة الإسلامية وكان فقير جدًا وضعيف ومريض، فأوقف موكب أحد الأمراء وقال له أنتم لديكم حديث يقول:-[الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر]، كيف وهذا حالي وهذا حالك؟ فقال له:- (أما أنا فبالنسبة لما ينتظرني عند الله تعالى من النعيم فأنا على هذه الحالة كأني في سجن، وأنت بالنسبة لما ينتظرك عند الله من العذاب أنت على هذه الحالة كأنك في جنة).

فالذي انتحرت بسببه، عندما ترى بعد ذلك ما تراه ستجد أنك كنت في جنة بالنسبة للذي تراه بعد ذلك وتقول يا ليتني أرجع لهذا الابتلاء، ولا يوجد عاقل يختار هذا الاختيار، لذلك يقولون *المنتحر عدو نفسه*، فهو أنهى الأمل في كل شيء حتى التوبة، ولو كان قتل شخص ما أهون له من قتل نفسه، لأنه سيظل معه وقت في الحياة لكي يتوب ويرجع الحقوق والقصاص، *فهذا سوء خاتمة صريح ولا يوجد احتمالية لشيء آخر*، لأن آخر لقطة في حياته أنه قتل نفسه

وقفل على نفسه باب التوبة والرجوع إلى الله، الذي قتل مائة نفس ربنا تاب عليه، إنما الذي قتل نفسه متى سيتوب؟ فهو قتل نفسه.

في سورة العنكبوت بعد ما ربنا سبحانه وتعالى قال كل هذا، قال الله تعالى:- [وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ (١٤) فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ (١٥) وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (١٦).

وفي نهاية قصة سيدنا إبراهيم، قال الله تعالى:-[فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٢٤)].

فسادات الدنيا سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم هذا الذي حصل معهم، فماذا حصل معك أنت من ابتلاءات؟؟

سيدنا نوح ظل ألف سنة إلا خمسين عامًا يُسب ويُسخر منه ويُكذب، وابتلي أن ابنه كافر وزوجته كافرة، وأنت غير قادر أن تستحمل أنك لم تنجح في سنة دراسية أو في عمل ما، فأين ابتلائك بجانب هؤلاء؟ وترى هذا الأداء الرائع بجانب الابتلاء الصعب، فأصبحا سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم من أولو العزم من الرسل.

فسيدنا إبراهيم هو من هو وكان أُمة ومع ذلك أُلقي في النار وأُمر بذبح ابنه وتأخر الإنجاب جدًا بالنسبة له، أُمر أن يترك ابنه وزوجته في الصحراء ويذهب، فابتلاءات رهيبة جدًا، فترى ردة فعل سيدنا إبراهيم على كل هذا رائعة لأنه فاهم أن الدنيا دار ابتلاء.

لذلك أثنى الله عز وجل على سيدنا إبراهيم بقوله تعالى:- ﴿وَمَن يَرغَبُ عَن مِلَّةِ إِبراهيمَ إِلّا مَن سَفِهَ نَفسَهُ وَلَقَدِ اصطَفَيناهُ فِي الدُّنيا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، ﴿إِذ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العالَمينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

فهذا استسلام تام.

انتهت دنيا سيدنا نوح ودنيا سيدنا إبراهيم وأين هما الآن؟ فهذا يحمسك جدًا إنك تستقبل ابتلاءات ربنا بصدر رحب وكأنه سبحانه وتعالى يقول لك أنهما قدواتك في الحياة.

لذلك تجد أن جميع الأنبياء كان كل تركيزهم على فعل الشيء الصحيح، والنبيﷺ بعد رحلة الطائف وذلك أصعب يوم في حياته وهو سيد الخلق يذهب إلى هناك ويترفض ويتم سبه ويترمى عليه حجارة، ويقول صلى الله عليه وسلم أن هذا اليوم أصعب من يوم أحد، ثم بعد ذلك ماذا فعل النبيﷺ؟ رفع يده إلى السماء وقال:- (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني، أو إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك).

فأنت لديك مشكلة، توجه إلى الله عز وجل فهو الذي نزل البلاء وهو الذي يرفع البلاء، الدعاء والبلاء يعتلجان بين السماء والأرض حتى يدفع أحدهما الآخر، وهذا من حكمة الابتلاء أن الله عز وجل منتظر يسمع دعاءك، فأنت بدل ما تدعي ذهبت إلى الانتحار ورفضت جميع الحلول، فتفتكر ماذا سيفعل الله عز وجل بك؟ مع إنك كان بينك وبين الحل دعوة صالحة، حتى النبيﷺ بعد الدعاء الأمر لم يتحل مباشرةً بل بعد سنين حوالي خمس سنوات، وسيدنا يعقوب دعى أربعين سنة وتحلت في الآخر، فطول وقصر الابتلاء ليس بأيدينا، فقد يتحل الابتلاء سريعًا وقد يستغرق وقت.

قال النبيﷺ في الدعاء جملة تعد عنوان حياة وهي "إن لم تكن غضبان عليَّ فلا أبالي"، فهذه علاج جميع مشاكل الحياة وهي تظبط تصوراتك في هذه الحياة، ليس المهم الابتلاء المهم في النهاية لا يكون الله غضبان عليك، فمن الممكن أن يعطيك المال وهو سبحانه وتعالى غضبان عليك، وممكن يحرمك لأنه غضبان عليك وممكن يحرمك لأنه راضي عنك، الفكرة أن الله عز وجل

يكون راضي عنك، أنت لا تستطيع أن تترجم أحداث الحياة، فلا تستطيع أن تحدد أنها في صالحك أم لا.

ولأن الإنسان بطبيعته يحب العافية ودي جبلة فطرية، فقال النبيﷺ بعد ذلك (ولكن عافيتك هي أوسع لي)، وسؤال العافية سؤال مشروع ولكن إذا حدث عكس ذلك تكون راضي بما قسمه الله لك وتقول يارب لا يكون هذا غضب عليَّ، يكون مثلًا رفع درجات أو تكفير سيئات.

ففي الحديث:- [اللهم لا تَجْعَلِ مُصِيبَتَنا في دينِنا ، ولَا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا ، ولَا مَبْلَغَ عِلْمِنا ، ولَا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لَا يرْحَمُنا].

فعندما يحدث للإنسان أي مصيبة فيتذكر معنى من هذه المعاني وأنه عبد لله سبحانه وتعالى، لذلك كانت كلمة أهل الإيمان عند المصائب:- "إنا لله وإنا إليه راجعون"، أي أنك مِلكٌ لله، يفعل بك ما يشاء ويقدر عليك ما يشاء وأعلم بك من نفسك، وأنك راجع إلى الله سبحانه وتعالى وستُسأل عن الذي حصل بك، إما تجعله فرصة إلى الجنة أم مزيد من الأسباب التي ممكن أن تجعلك في النار، أنت راجع لا محالة سواء عجلت لنفسك هذا الأمر بالانتحار أم لا.

فضلًا عن بعض المعاني التي تجعل الإنسان يهدأ مثل معنى العبودية، مثل الدعاء الذي قال عنه النبيﷺ حيث تقوله لو أصابك حزن أو غم:-

[اللهم إني عبدُك ، وابنُ عبدِك وابنُ أمتِك ، ناصيتي بيدِك ، ماضٍ فيّ حكمُك ، عدلٌ فيّ قضاؤُك ، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك ، سميتَ به نفسَك ، أو علمته أحدًا من خلقِك ، أو استأثرت به في علمِ الغيبِ عندك أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي ، ونورَ صدري ، وجلاءَ حزني ، وذهابَ همي وغمي إلا أذهب اللهُ همَّه وغمَّه وأبدله مكانه فرحًا ، قالوا : أفلا نتعلمهن يا رسولَ اللهِ ، قال : بل ينبغي لمن يسمعُهن أن يتعلمَهن].

معاني من الحديث:-

من الأشياء التي تهدأ الإنسان عندما تحدث له مصيبة هو إيمانه بالقدر:- ●ففي الحديث:-[واعلَم أنَّ ما أصابَكَ لم يكُن ليُخطِئَك وما أخطأكَ لم يكُن ليُصيبَكَ]،

وقال الله عز وجل:- ﴿ما أَصابَ مِن مُصيبَةٍ فِي الأَرضِ وَلا في أَنفُسِكُم إِلّا في كِتابٍ مِن قَبلِ أَن نَبرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]﴿لِكَيلا تَأسَوا عَلى ما فاتَكُم وَلا تَفرَحوا بِما آتاكُم وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ فَخورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

فهذا العلاج المعرفي أن تعلم أن هذه المصيبة طالما حدثت إنها بالفعل كانت ستحدث، وهذا يغلق عليك باب الاكتئاب والإحباط وهو باب "لو كان كذا لكان كذا"، وهذه الكلمة فيها نهي أن تقولها.

ففي الحديث:- [المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ ، وفي كلٍ خيرٌ احرصْ على ما ينفعُك واستعنْ باللهِ ولا تعجِزنَّ ، وإن أصابَك شيءٌ فلا تقلْ : لو أني فعلتُ لكانَ كذا وكذا ، ولكن قلْ قدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعلَ فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ].

عدلٌ في قضاؤك فبعض الناس يتهم الله عز وجل بالظلم ولذلك ينتحر، ومن الممكن أن تكون المصيبة لك يد فيها، مثل أنت لم تذاكر فبالتالي فشلت في الدراسة ثم تذهب إلى الانتحار!! كيف وأنت لم تذاكر من البداية؟ فأين المشكلة إذًا؟ ولماذا معترض على الله عز وجل؟ فأحيانًا يكون لك يد في المصائب التي تحدث لك.

تجد في سورة التغابن المفهوم المعرفي والمسؤولية الشخصية، في قوله تعالى:- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(التغابن: ١١)فهذه المعرفة، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(التغابن: ١٢)وهذه المسؤولية الشخصية، وبعد ذلك يقول لك:- ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

(التغابن: ١٣)،

ليس لك أمر في التدبير ولا في التصرف وكل الذي عليك هو السعي.

من النماذج المشرقة في هذا الباب

كما ذكرنا من قبل سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم، فمن النماذج المشرقة أيضًا هو سيدنا محمدﷺ، فهو أشد الناس ابتلاءً في الحياة، وما رأينا منه إلا رضا عن الله سبحانه وتعالى، والله عز وجل رزقه ب ٧ أولاد، ٤ بنات و٣ صبيان، ٦ ماتوا أثناء حياته، مات له أعمام وزوجته ماتت، دفن أصحابه، وشجت رأسه وكسرت رباعيته وتم إيذائه كثير جدًا عليه الصلاة والسلام وتم رميه بالحجارة وأُتهم في السيدة عائشة في عرضها، والحياة كلها هكذا، وهو صلي الله عليه وسلم يقول "بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى".

سيدنا ابن عباس في مرة كان يسير مع عطاء بن أبي رباح، ثم قال له:- هل أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال:- من؟ قال له:- هل ترى هذه المرأة السوداء؟ جاءت إلى النبيﷺ وقالت يا رسول الله إني أُصرع وإني اتكشف، فادعو الله لي، فقال لها النبيﷺ:- إن شئتِ دعوت الله لكِ فشفاكِ وإن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، قالت:- بل أصبر ولكن أدعو الله لي ألا أتكشف.

الصرع مرض صعب للغاية جدًا، وذكر الشيخ أنه رأى في مرة شخص يحدث له الصرع وكان منظر صعب للغاية وكان يفعل أشياء لو رأها وهو واعي لقتل نفسه ولا يتمناه لألد أعدائه، وكانوا يبكون بجواره من المنظر، فتخيل لو كل هذا يحدث لامرأة وفي الشارع وتتكشف!! ومعروف عن هذه المرأة أنها مهذبة وطيبة.

فهذه نماذج مشرقة في تحمل ابتلاءات أصعب بكثير من أي شيء تعرضت له في حياتك وأنت تريد أن تنتحر، فهذه المرأة من أهل الجنة وعندما تدخل الجنة هل هيفرق معها هي دخلت الجنة بالصرع أم بالمال؟ لا لن يفرق.

ففي الحديث:- [يؤتَى يومَ القيامةِ بأنعَمِ أَهْلِ الدُّنيا منَ الكفَّارِ ، فيُقالُ: اغمِسوهُ في النَّارِ غَمسةً ، فيُغمَسُ فيها ، ثمَّ يقالُ لَهُ: أي فلانُ هل أصابَكَ نعيمٌ قطُّ ؟ فيقولُ: لا ، ما أصابَني نعيمٌ قطُّ ، ويؤتَى بأشدِّ المؤمنينَ ضرًّا ، وبلاءً ، فيقالُ:

اغمِسوهُ غمسةً في الجنَّةِ ، فيُغمَسُ فيها غمسةً ، فيقالُ لَهُ: أي فلانُ هل أصابَكَ ضرٌّ قطُّ ، أو بلاءٌ ، فيقولُ: ما أصابَني قطُّ ضرٌّ ، ولا بلاءٌ].

عاقبة الانتحار

وفي النهاية نقول للمنتحر:- هل تعتقد أنك ستنتقل بالانتحار إلى وضعٍ أفضل؟ لا، بل هناك وضع أسوء مما تتخيل.

النبيﷺ قال في حديث أبي هريرة في الصحيحين:- [مَن تردَّى مِن جبَلٍ فقتَلَ نفْسَه فهو في نارِ جَهنَّمَ، يتردَّى خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومَن تحسَّى سُمًّا فقتَلَ نفْسَه، فسُمُّه في يدِه، يتحسَّاه في نارِ جَهنَّمَ خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومَن قتَلَ نفْسَه بحَديدةٍ -ثمَّ انقطَعَ عليَّ شيء، خالِدٌ يقولُ- كانتْ حديدتُه في يدِه، يَجَأُ بها في بطنِه في نارِ جَهنَّمَ خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا].

أي أنه يفعل في النار الطريقة الذي انتحر بها ولكن لا يموت يظل يفعل هكذا، يتعذب ويذوق الألم ثم يعود مرة أخرى يفعل ما فعل.

وفي الحديث:- [- كان فيمن قبلَكم رجلٌ به جُرْحٌ فجزِعَ . فأخذ سِكِّينًا فحزَّ بها يدَهُ، فما رقَأَ الدمُ حتى مات، فقال اللهُ : بادَرَني عبدِي بنفْسِهِ، فحرَّمْتُ عليه الجنةَ].

قاتل النفس ينطبق عليه أحاديث القتل كلها، مثل:-

- حديث :-[اجتنِبوا السَّبعَ الموبقاتِ قيلَ : يا رسولَ اللهِ ! وما هنَّ ؟ قال : الشِّركُ باللهِ ، والسِّحرُ ، وقتلُ النَّفسِ الَّتي حرَّمَ اللهُ إلَّا بالحقِّ ، وأكلُ مالِ اليَتيمِ ، وأكلُ الرِّبا ، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحفِ ، وقَذفُ المُحصَناتِ الغافِلاتِ المؤمِناتِ].
- النبيﷺ يقول :- [لا يزالُ المرءُ في فُسْحَةٍ من دينِهِ ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا].

فبالتالي كل ما يتعلق بالقتل من الوعيد هو أيضًا متعلق بقتل النفس.

- قال النبيﷺ:- [لَزَوالُ الدُّنيا أهْوَنُ علَى اللهِ مِن قتلِ رجلٍ مسلمٍ].

إذا كان كل هذا في قتل الغير، فما بالك بقتل النفس!! فهذا الشخص لا شك أنه عرض نفسه لكبيرة رهيبة من الكبائر، وقد تكون أسوء من قتل الغير وقطع على نفسه مادة التوبة لأن مادة التوبة هي الحياة.

- ففي الحديث:-[إنَّ اللهَ يَقبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ].

- فلا شك أنه من أكبر الكبائر وسوء خاتمة بالتأكيد والذي يأتي بعد ذلك هو الأسوء، فالذي كان قبل الانتحار هو جنة بالنسبة للذي يأتي بعده.
- الأحاديث قد يبدو في ظاهرها أن المنتحر مخلد في النار، والمعلوم أن المخلد في النار هو الكافر، فالآن السؤال هل المنتحر كافر أم لا؟

الإجابة:-

في عهد النبيﷺ ثبت أن رجلًا قتل نفسه وثبت الحديث في صحيح مسلم :- [أُتيَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم برَجُلٍ قَتَلَ نَفسَه بمَشاقِصَ، فلم يُصَلِّ عليه]، ولكن أمر الصحابة بإن يصلوا عليه (المشاقص:-أتى بسهام وقطع شراييه).

النبيﷺ لم يصلِ عليه ليخوف غيره من فعل ذلك وجعل الصحابة يصلوا عليه، وهذا يدل على أنه مات مسلمًا.

والأحاديث تقول أنه يسقتل نفسه في النار خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، نقول أن هذه تُحمل على طول المكث، لأن كلمة الخلود قد تحتمل الخلود الأبدي أو طول المكث، ويقول العلماء أحيانًا أن هذا الخلود الأبدي جزاؤه لولا التوحيد، لأن لكي يتحقق وعيد لا بد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، فإنه هنا استوفى الشرط وهو قتل النفس جزاؤه الخلود في النار ولكن يوجد مانع وهو التوحيد، فهذا حال الشخص الذي مات موحدًا أي قتل نفسه لأنه غير قادر على تحمل البلاء، إنما يوجد ناس يفعلوا أشياء كفرية أثناء الانتحار مثل سب الله أو ظلم الله.

نقول إذا انتحر الشخص لسبب أنه غير قادر على تحمل البلاء ولكن لم يفعل أشياء كفرية فهو مات مسلمًا ويجوز الصلاة عليه ويجوز الترحم عليه، هل

يوجد احتمال ربنا يرحمه؟ نعم احتمال، ولكن هو وضع نفسه في وضع ضيق جدًا ورحمة الله واسعة تسع الجميع ولكن هو صعب على نفسه الأمر.

ولكن يوجد أمر مهم، **هل يُسمح التعاطف مع الشخص المنتحر؟**

الإجابة:- لا

لو إنك سمعت عن منتحر حتى لو أصبح ترند، لا تنزل منشور وتترحم عليه أمام الجميع، إنما لو أردت أن تضع منشورًا على وسائل التواصل الاجتماعي فانكر الذي حدث فقط، لأن وراء الشاشات يوجد زبائن مستعدين للانتحار ومنتظرين رد فعل المجتمع تجاه المنتحر، فعندما يجدوا تعاطف مع المنتحر وتبرير له، ستجد بعدها كام شخص انتحروا أيضًا، فأنت أمام الجميع تنكر الذي حدث وتقول أن هذا سوء خاتمة لكي تحمي باقي الناس من أن يفعلوا ذلك، وهذا ليس من القسوة بل هو من الرحمة بباقي الناس لعدم فعل هذا.

نقول لهذا الذي يريد الانتحار، أنت الآن في فرصة جميلة، ما يدريك ماذا سيحدث غدًا؟ ضع نفسك مكان يوسف عليه السلام، تخيل لو يوسف عليه السلام وحاشاه أن يفعل ذلك أن انتحر في السجن، فتقول لماذا انتحرت أنت كنت ستكون لك مكانة عظيمة، فأنت تعلم نهاية القصة، وما يدري الشخص الذي يريد أن ينتحر وهو في السجن أن هذا كان سيوصله إلى خطوة إلى مُلك أو إلى عافية وما إلى ذلك...

فسيدنا يوسف بعد الذي حدث معه دخل إلى السجن وكان يدعو إلى الله هناك، وبعد ما خرج قال:-

قال الله عز وجل:- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى العَرشِ وَخَرّوا لَهُ سُجَّدًا وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأويلُ رُؤيايَ مِن قَبلُ قَد جَعَلَها رَبّي حَقًّا وَقَد أَحسَنَ بي إِذ أَخرَجَني مِنَ السِّجنِ وَجاءَ بِكُم مِنَ البَدوِ مِن بَعدِ أَن نَزَغَ الشَّيطانُ بَيني وَبَينَ إِخوَتي إِنَّ رَبّي لَطيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ العَليمُ الحَكيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فهو كان عليه السلام راضي عن الله عز وجل ويرى أن هذا من الطبيعي وأن الدنيا ذاهبة بطريقة صحيحة، لذلك قال سيدنا يعقوب في نهاية القصة:- "إني أعلم من الله ما لا تعلمون"، وسيدنا يعقوب اتحرم من ابنه ٤٠ سنة وعينيه ذهبت من كثر البكاء، فممكن شخص يأتي في نصف الطريق وينتحر ولو كان صبر لكان وصل وكان ما زال يوجد خطوة فقط، وكان كل هذا لرفع شأنك ولكنك لم تصبر.

فأي شخص يفكر في الانتحار يتأمل قصة سيدنا يوسف وسيدنا يعقوب وقصص الأنبياء وكيف يصبروا ووصلوا، وحتى لو مت في نصف البلاء ولم تصل فأنت كسبان ما دام أنت مع الله عز وجل، الخسارة الوحيدة إنك تنتحر.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلَّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك عنه